العربية لسان الله تعالى نزل بها آدم عليه السلام
ثم تراوحت بين التفرد والتشتيت والكيد لها .

للأستاذ علي رجب المدني

حضرات السادة الزملاء :

لقـــد آن لأم الحقائق أن ترفع القناع عن وجهها وتنقض على ما تراكم من زيف وتزييف وتزوير لحقائق التاريخ جعل منه (في معظمـــه) أكذوبـــة كبرى يأنف الضـــمير الإنســـاني مـــن اســـتمرارها والســـكوت على بواعثها الأنانية الظالمة القائمـــة على التمكين للأقوياء والتجهيل بكل ما هو تراث إنساني صادق من شأنه أن يحقـــر غرائـــز الشـــر والأثرة وتزكية الذات، تلك الغرائز التي ما انفكت تعمل عملها في ظلم الضمائر الميتة وابتغاء متاع رخـــيص ، مـــنذ أن قدم الإنسان على التدوين والتأريخ . وما كان لكل أولئك الطغـــاة الذيـــن تحدث عنهم القرآن في مختـــلف عهـــود تواجدهم أن يسمحوا لمدونات التاريخ (إلا فيما عصم الله) أن تزكي الحقيقة على باطلهم .

ولـــولا القرآن وما إصطلحت عليه العقـــول الراشـــدة مـــن تسليم بمدوناته وقصصه وأخباره (وهو الكتاب الصادر عن خالق هذا الكون بكل ما لابس هذا الخلق من إعجاز) لما تسنى لنا أن ندرك من حقائق التاريخ شيئًا يزيد على ما أراده الأقويـــاء والـــبغاة وعـــباد ذواتهم الذين ســـخروا كل ما بأيديهم من ذهب المعز وســـيفه لإشباع شهواتهم في الاستئثار بما يدونه التاريخ لتزكيتهم والحاق وصمات الضـــعف والمهانة بمن إستهدفوهم بالعداء ممـــن كانوا مؤمنين بالحقيقة صادقين في عرضـــها وســـردها حتى تمكنوا من أن يطمســـوا من معالم التاريخ كل ما خرج مـــن تحت مظلة القرآن والصحيح الأصح من سنة الرسول الذي أنزل عليه .

أعود لأقول أنه قد حان لأم الحقائق أن تبين للناس ويدركوها من خلال

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة السادسة يوم الخميس ١٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٢ من مارس (آذار)سنة ١٩٩٨م.

الإقـــناع والتحلـــيل الذي يستمد قوته وجديـــته من إيماننا بهذا الكتاب العظيم وكـــل مـــا انطـــوى عليه من إيماءات وإشارات تكفي (المؤمن به) لأن يكوِّن من خلالها قناعته التي لا تقبل أي قدر من الشك .

إن هـــذه الحقيقة هي أن العربية لسان الله ومـــا كان للسان غير لسان الله خالق كل شيء بإعجازه الخارق أن يزاحمه على ادعاء الأولية والأسبقية .

وفيما يلي أرقام تخص مجموع الأدلة المؤكدة لحقيقة أن العربية لسان الله تعالى:

(1) أول مـــنطلق يؤكد حقيقة أن القرآن لســـان الله يتمـــثل في أسمائه الحسنى التي وردت في الآيـــات 22-23-24 مـــن سورة الحشر ، فهي جميعًا أسماءٌ عربية لا تشوبها عجمي،وما كان الله ليتخذ لذاته أسماء من لغـــة لم يكن قد اختارها وأعدها بقدرته وإعجازه لتكون لغته(وبالأحرى لغة مخلوقيه الذين أعد لهم كتابه الخاتم الشامل لينـــزله على خاتم رسله المتميز بالرسالة العامة) .

(2) اللغـــة التي كانت لغة الحوار بين الله وملائكته عندما اتجهت مشيئته لخلق آدم عليه السلام من طين وما تم من حوار بينه عز وجل وبين إبليس وبينه وبين آدم الذي عـــلمه الأسمـــاء كـــلها ثم عرضهم على الملائكة وفق ما ورد في الآيات 30 إلى 39 مـــن ســـورة البقرة وكذا الشأن بالنسبة لموضوعات الحوار الذي تعاقب مع كافة الرسل وبعض أقوامهم مما يتيسر الرجوع إليه بين دفتي المصحف لكل باحث ينشد الحقـــيقة . كل هذا الحوار الذي تم على نحو ما نقرؤه (بلسان عربي مبين) ما كان له أن يتم إلا باللغة التي أعدها لغة خطاب بينه وبين خلقه في الدنيا ويوم القيامة وفقا لمـــا أشار إليه حديث : (تعلموا العربية وعـــلموها الـــناس فإنهـــا لسان الله يوم القيامة).

(3) وحـــري بنا أن نؤصل أسماء عدد من الأنبـــياء والرسل الأولين وبعض أبناء آدم الأولـــين بـــدأً من ابنه الأكبر شيت عليه السلام الذي (وإن لم يرد اسمه في القرآن) إلا أن الآثار أكدت أنه كان أول نبي بعد والـــده وأن خمســـين من الصحائف قد أنزلت عليه ، وكذا الشأن بالنسبة لأبنيه هبـــيل وقبيل وحفيده النبي إدريس عليه

السلام، ونبي الله نوح عليه السلام وأبنائه الثلاثة (الذين جعلهم الله هم الباقين) . ثم نبي الله هود الذي كان أول رسل الله (عقب الطوفان) إلى قوم عاد ثم رسول الله صالح عليه السلام الذي تلاه إلى ثمود وما كان لي أن ألجأ في التأصيل العربي لكل تلك الأسماء إلا إلى أهم قواميس اللغة العربية وأكثرها دقة واستيعابا وتدليلا على أصالة المفردات العربية ، وهو (لسان العرب لأبن منظور) الذي لا أتصور أحدا ينكر عليه جهده الخارق في هذا السبيل رحمه الله وأعظم أجره وجزاءه.

فهو بالنسبة لآدم يراه مشتقا من أَدُمَ بمعنى سَمُرَ (والأُدمة السُّمرة التي تعلو البشرة وغيرها مما يقرب من لون أديم الأرض) وهذا اشتقاق عربي لا غبار عليه ولا لبس فيه .

وبالنسبة لحواء يرى أن المرأة الحواء هي ذات الشفتين السمراوين أو الخضراوين أو الحمراوين الضاربين إلى السواد (وهي ميزة جمالية تزيد المرأة كمالا عند العرب)

وأما شيت عليه السلام فإن القاموس يشير إلى أن (الشِّية) هي البقعة البيضاء تتوسط الجلد الذي يصطبغ بلون مغاير وهو تميز جدير بأن يقتبس اسمًا لعزيز .

وأما هبيل عليه السلام : فلعله مما درج عليه قولهم : (أهتبل الصيد بمعنى بغاه وتكسبه ، ويقال الهابل بمعنى الكاسب ، واللهبِلُّ : الرجل العظيم ، وقيل الطويل . والهابل الكثير الشحم واللحم . وهُبَل اسم رجل معدول عن (هابل) وهو معرفة (أي علم) وبنو هبيل بطنٌ في العرب . انتهى من لسان العرب .

وأما قبيل : فمعناه الكفيل والعريف ومعناه الجماعة (تزكية له وتفاؤلاً بأن تكون له قوة الجماعة والقبول ، وقبيل بمعنى مقبول ومعناه المستقبل ، ومعناه الارتجال في الخطابة إلى غير ذلك مما تفيده الكلمة من معان لا داعي لسردها اتقاء الإطالة .

وبالنسبة لنبي الله إدريس عليه السلام فقد أورد لسان العرب بالنص : (ويقال سمي أدريس عليه السلام لكثرة دراسته كتاب الله تعالى ؟ ...) ودرس الحنطة أي فصلها عن سنابلها ، ودرس الناقة أي

راضـــها ، ودرس الكـــتاب ، والمدارسة المذاكرة أو التَّعَلُّم .

وأمـــا بالنسبة لرسول الله نوح عليه الصـــلاة والسلام فيقول اللسان: النُّوحة: القوة ، وهي النّيحة أيضًا ، وتنوح الشيءُ تنوحًا إذا تحرك وهو متدلٍ ونوح اسم نبي معروف . وقومه بنو راسب (كما ورد في البداية والنهاية لابن كثير نقلا عن ابن جبير وغيره).

وأمـــا ما يخص أبناء نوح عليه السلام : ســـام وحام ويافث فإنه وإن كانت صلة الاسمـــين الأولـــين بالعربية واضحة بما لا يتطلب مزيدًا من الإيضاح فبالنسبة ليافث يكفي أن نورد عبارة لسان العرب بنصها: (يافـــث مـــن أبناء نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل هو من نسله الترك ويـــأجوج ومأجوج وهم إخوة بني سام وحام فيما زعم النسابون وأيافث موضع باليمن كأنهم جعلوا كل جزء منه (أيفث) اسمًا لا صفة.

وفي عـــبارته حول اتصاله بنسله من الـــترك أو يأجوج ومأجوج تأكيد لحقيقة أن كـــل الأجناس التي تعاقبت هي ذات انتماء للعرق العربي الذي تفرد منذ آدم .

أمـــا بالنسبة لرسول الله هود عليه الصلاة والسلام فيرى أنه من هاد يهود هَوْدًا أو تَهَوُّدًا بمعنى تاب وأناب .

وهـــو اشتقاق عربي لا لبس فيه وفيه دلـــيل عـــلى أن اسم يهود إنما جاء منه امتدادًا للعربية التي كان ينتمي إليها هود وقومـــه (عـــاد) (وهم من العرب البائدة وهذا يؤكد الأصل العربي لليهود) .

وأما عاد الأولى : فهم قوم هود من العـــرب البائدة ، قال اللسان : هم قوم هـــود عليه السلام ، وقال الليث : وعاد الأولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح علـــيه السلام (أهلكهم الله)(*) ، وأما عاد الأخيرة فهم بنو تميم ينـــزلون رمال عـــالج عصـــوا الله فمُسخوا نسناسًا لكل إنسان منهم يدٌ ورجلٌ من شق انتهى من اللسان.

وأما ثمود فيقول لسان العرب : وثمود قبـــيلة مـــن العـــرب الأول يصرف ولا يصـــرف، ويقال إنهم من بقية عاد، وهم قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام بعـــثه الله إليهم وهو نبي عربي واختلف

(*) جملة حبرية وليست دعائية .

القـــراء في إعرابه في كتاب الله عز وجل فمـــنهم من صرفه ومنهم من لم يصرفه ، فمـــن صرفه ذهب به إلى الحق لأنه اسم عربيٌ مذكر ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة وهي مؤنثة . انتهى لسان العرب .

وإذا راعينا أن قوم عاد وثمود يمثلان الانتشار الأول للبشرية بعد الطوفان وأن نوحًا وبنيه وقومه إنما كانوا عربًا فإن هذا يقودنـــا بإقناع واقتناع إلى حقيقة أن ما تحقـــق انتشاره من بشر خلال الحقبة التي تفصـــل بين عاد وثمود وبين عهد نمروذ الذي أورد المسعودي أنه عاش خمسمائة عام وشهده في آخرها سيدنا إبراهيم (أبو الأنبياء) عليه السلام (وحاوره) إنما كانوا امتدادا لبقايا عاد وثمود من العرب ، وأن الدمـــاء التي سرت في جسد إبراهيم عليه الســـلام وبنيه إنما هي دماء عربية ، وأن العـــبرية التي جاءت (على أصح الآراء) مـــن عـــبوره عليه السلام لنهر دجلة إلى فلســـطين، لا تغـــير شيئا من حقيقة دمه العربي الذي كان دما أهله لأن ينسبنا الله إليه في قوله:"ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ".

ومـــن هـــنا نعبر بسلام إلى الحقيقة الكـــبرى وهـــي أن العـــرب هم الأصل الأصـــيل للبشـــرية كلها ، وأنه لا مجال للقول بتعدد الأعراق والانتماءات إلا من خـــلال مفـــتريات التاريخ وتجاهل هذه الحقـــيقة الكـــبرى التي نأمل أن تتكاتف جهود الأبرار من البشر لتأكيدها حفاظًا عـــلى وحدة الأسرة الإنسانية على النحو الذي أعلنه الله في الآية الأولى من سورة النساء (الآية١):"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجهـــا وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقـــوا الله الذي تساءلون به والأرحام " لافـــتًا انتباهنا للرِّحْمِ الأولى التي صدرنا عنها جميعًا (رِحْمِ حواء عليها السلام) .

حضرات الزملاء الأجلاء :

من الحقائق التي تمتنع على الشك ولا يجوز (في الـــنطاق الإسلامي على الأقل) أن تكون موضع شك: أن جميع ما أنزل الله مـــن كتب وصحف قبل بعثة محمد عليه الصـــلاة والسلام بالرسالة العامة إلى كل الـــناس (إنسهم وجنهم) قد اختفى ولم

يعد له من أثر منذ أن رفع المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إلى السماء. وأن مـــا يتداول من كتب (غير القرآن) ينسب إلى السماء لا يعدو كونه مصنفات بشـــرية لأنـــاس تصـــدروا الدعوة إلى معـــتقدات لا تقوى على تأكيد مطابقتها للتعالـــيم الـــواردة في الكتب والصحف المنـــزلة التي قُدِّر لها أن تختفي .

وانطلاقًـــا من هذا اليقين نستطيع أن نقول أن الكتاب السماوي الأوحد الذي يتضـــمن خطاب الله المباشر لخلقه إنما هو القـــرآن المنـــزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الكتاب الذي صـــاغه الله بالعربية (الخالصة) التي سبق أن تخاطـــب بهـــا رسول الله إسماعيل بن إبراهـــيم علـــيهما السلام والتي اختلفت الآراء بـــين أن يكون قد تلقنها بالوحي (فـــيما اعتقده المؤمنون الأولون في صدر الرســـالة الإسلامية) أو أن يكون تلقنها باصـــطلاح بيـــنه وبين قبيلة جرهم التي نشـــأ في حضـــنها ثم صاهرها وساعده الوحـــي الســـماوي عـــلى أن يطـــور الـــنطق بهـــذه اللغة بالحوار معها كجزء من مسلســـل التمهيد لبعثة محمد عليه السلام .

(وقد أشارت إلى هذه التفاصيل الأخيرة دائـــرة معارف القرن العشرين فيما كتبته عـــن التهذيبات الثلاث التي طرأت على اللغة العربية).

لقـــد تضمن القرآن في العديد من أجزائه تفاصـــيل الحوار بين الله ورسله وملائكته وإبلـــيس ونقـــل إلينا أقوال هؤلاء جميعًا وغيرهـــم مـــن أقوام الرسل فيما تم من حوارهم مع رسلهم على نحو لا تستدعي الإحاطـــة به كثيرا من التحليل ، ولكن يكفي في ذلك الرجوع إلى تلك النصوص بقـــدر أكـــبر مـــن التروي والتمعن في مضـــامينها وكـــيف أنها نصوص قاطعة لكونها لم تأت وليدة ترجمة أو رواية عن لغـــة أخرى وإنما تمت بين الله تعالى وكل تلـــك الأطراف وغيرها بلغة القرآن الذي أوردها.

ولا تـــنافي بين هذه الحقيقة والحقيقة التي وردت في قوله تعالى:(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) . إذ أن مـــا طرأ على البشرية منذ عهد نمروذ من

تشتت في أطراف الأرض(هربًا من طغيانه وظلمه وفتكه) كان السبب في نشوء كل ما نشأ من لهجات كادت أن تخفي معالم اللغة الأم "الغربية " نتيجة ما اضطرت إليه كـــل تلـــك الفصائل المشتتة من ابتداع مفردات وتعبيرات لعبت البديهة والحاجة الآنـــية والأصـــوات والإشارات دورها الفاعل في ابتداعها وإدخالها على اللغة الأم.

وكـــان من أثر ذلك أن أمد الله كل من اصطفاه من رسل إلى تلك المجموعات البشرية بالقدرة على أن يخاطب كل منهم قومـــه بلسانهم ؟ ... ولم يقل بلغتهم لأن اللغة تسمو على ما قد يكون دخيلا عليها ولا تفقد به شخصيتها المتميزة .

فخطاب كل رسول لقومه بلسانهم لا ينفي أن يكون أولئك الرسل قد تلقنوا لغة القرآن تأهيلا لهم للتخاطب مع الله ، ولا ينفي أن يكون الحوار الذي تم بين بعض أولـــئك الرســـل وأقوامهـــم قد تم وفقًا للنصوص الواردة في القرآن خصوصا إذا علمـــنا أن تلـــك الأقوام إنما كانت تحتل الرقعة الوسط من الأرض التي بعث إليها الله رســـله والتي لم تكن قد انفصلت عن العربية الأم كما يتضح من نسبة معظمها إلى العـــرب الـــبائدة كعاد وثمود وطسم وجدبـــس والعمالـــيق ، ولعل أبرز ما تم استحدانه من مفردات طرأت على العربية إنمـــا تمثل فيما يسمى باللغة العبرية التي لا تعـــدو حتى يومنا هذا أن تكون في معظم مفـــرداتها ونصوصـــها لغة عربية حاول الـــتحريف المفتعل أن يخفي معالمها دون جـــدوى وهي لا تختلف في تسميتها عن العربـــية إلا بتقديم وتأخير بين حرفين من حروفها هما الراء والباء .

أما ما سوى ذلك من فصائل بشرية طرأت في المناطق النائية عن المنطقة الوسط التي أشرنا إليها ، فإنها لم ترتق (باستثناء الـــبوذية في العهـــود الأولى لنشأتها) إلى مرتبة الأقوام الذين خصهم الله برسل من بيـــنهم ، وبذلك ينتفي أن يكون لهم أي دور في رسالات السماء وإنما هيئوا ليتلقوا الرســـالة العامة التي شاء الله أن يختص بها محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (للناس كافة بشيرا ونذيرا ...).

وهذا ما يذهب بنا مذاهب القول بأن الإســـلام الذي شرعت منه شريعة محمد

الخاتمـــة قام على مبدأ ناسخ للمبدأ الدي تضمنته آية : (وما أرسلنا من رسول إلا بلســـان قومه ليبين لهم) بل وإنما ختمت بقوله تعالى (ليبين لهم) لتحمل إشارة إلى أن إرســـالهم بلســـان أقوامهـــم لم يكن اعـــترافا مـــن الله بكل تلك الألسن التي ابتدعت وإنما كان لتمكينهم من استيعاب ما يتلى عليهم من أوامر الله وتعاليمه إلى أن يحـــين الوقت في تقدير الله لبعثة خاتم الأنبياء الذي تبرز ببعثته مشيئة الله في أن يلتئم شمل الأسرة الإنسانية التي بدأت بآدم أبا وحواء أما والتي لا يتحقق فيها الامتثال لتعاليم الله والخضوع لمشيئته إلا بالتئامها حـــول كتابه الخاتم (الذي التزم بحفظه والحيلولة بينه وبين التحريف والاختفاء ؟) وحول اللغة التي أنزله بها على محمد صلى الله علـــيه وسلم دون أن يضمنه أي نص بالنســـبة للفظ (عربي) إلا فيما يخص هذا الكتاب واللسان الذي نزل به ليتحقق من خلاله (الإعراب) عن مشيئة الله الحقيقية(مـــنذ الأزل) ويؤكـــد به أن العربية هي لسانه تعالى وجعل محمدًا (صلى الله عليه وســـلم) يضـــمن خطابه للناس قوله : (تعلموا العربية وعلموها الاس فإنها لسان الله يوم القيامة) وما كانت العربية لتكون لسان الله يوم القيامة لو لم تكن لسانه مند الأزل ، (فهـــو منـــزه عن التغير في ذاته أو صـــفاته) وهو أعدل من أن يخاطب عباده ويحاسبهم يوم القيامة بغير اللغة التي شرعها لهم منذ بدء خلقه إياهم ، ثم ألزم خاتم أنبيائه بأن يدعوهم لتعلمها وتعليمها للناس، حتى لا يحرموا شرف الاستيعاب لخطـــاب الله الـــذي سيتم بلسانه العربي (كمـــا يفيد الحديث الشريف الذي يعد أمـــرًا مـــن أوامره صلى الله عليه وسلم الواجـــبة الامتثال والتنفيذ . والتي يتوقف علـــيها كل ما ينتظر من الناس من فهم مباشر للقرآن وإعجازه (الذي لا ينصاع للترجمة) وما ينتظر منهم بالتالي من إيمان برسالة الإسلام إيمانًا يكون يقينيًا أساسه القناعة التي لا تحتمل الشك أو التردد أو السطحية .

وما كان لشيء من ذلك أن يتحقق إذا تقاعس المسلمون الذين ميزهم الله بأن يتكـــلموا لغة القرآن (العربية) ويكونوا (ســـدنة) لهـــا عن الامتثال للأمر النبوي

المتمـــثل في قوله عليه الصلاة والسلام : (وعلموها الناس ! ..) .

حضرات السادة الزملاء :

إن الـــتاريخ الإنســـاني الحق لا يمكن أن يســـتقى من خلال ما تعاقب من نصوص (مـــا برح الهوى منذ نشأة التاريخ يلعب دوره الفعال المؤثر) في تدوينه وفقا لمشيئة ذوي القـــوة والـــنفوذ وذوي المصـــالح والغالـــبين عـــلى اخـــتلاف عصورهم ونزعاتهم .

ولن يكون للإنسانية مصدر للتاريخ الإنســـاني الصادق إلا ما تحالف منه مع القـــرآن وقصصه وإشاراته . وسار على نهجه .

ونهـــج القرآن قد تحدد منذ اللحظة التي خاطب الله فيها ملائكته بقوله (العربي المـــبين !) : (إني جـــاعل في الأرض خلـــيفة)، فقد تلقى رد من خاطب من ملائكـــته بقوله (عربي مبين أيضًا) ، ثم تـــتالى ما تم من حوار بينه وبين ملائكته وآدم وإبلـــيس وما علم آدم من الأسماء كـــلها وما أطلقه من تسمية لآدم وحواء هـــي من صميم المشتقات العربية ثم ما تم من خطاب وحوار بينه وبين من تتالى من رسله منذ نوح عليه السلام ، وبين نوح وقومـــه والثمانين الذين حملتهم السفينة معـــه، والذيـــن انشؤوا أولِ مَدينة على الأرض فـــور نزولهم على سفح الجودي (وسموهـــا مديـــنة الثمانين) وقال عنها المســـعودي أنها لا تزال تحمل هذا الاسم حـــتى تاريخ تدوينه لهذا النص (أي سنة 332 للهجرة) في كتابه (مروج الذهب).

ثم ما تتالى من خطاب بين الله وبين رســـوليه هـــود وصالح اللذين كانا أول رســـولين بعد انحسار الطوفان أرسلا إلى قوميهما اللذين لم تختلف الآراء في كونهما (مـــن العرب البائدة) وما تم بين ذينك الرسولين وقوميهما من حوار دون القرآن أهمه ، ثم ما تتالى من خطاب وحوار بين الله وأنبـــيائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقـــوب والأســـباط وموســـى وداود وسليمان وعيسى من الرسل الذين بعثوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

وما تم بين كل أولئك وبين أقوامهم وبـــين الملائكـــة الذين أرسلوا إلى بعض أولئك القوم لمعاقبتهم وبينهم وبين الرسل،

مما دونه الله في القرآن الخالد ، كل ذلك لا يدع مجالا للشك ولا للقول بأن لغات أخرى قد اختارها لغة خطاب بينه وبين رسله وملائكته ، أو بين رسله وأقوامهم ، لأن في ذلك إيهامًا بأن القرآن لم يتضمن في هـذا الصدد إلا مجموعة من نصوص مترجمة وهو إيهام يصل إلى حد التطاول عـلى مقـام الله وقدرته وإعجازه الذي أودعـه نصوص كتابه . وهذا ما لا يجل لمسلم مؤمن بالله وكتابه أن يعتقده أو أن يقوله ... تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

فالإيمـان بكتاب الله يتطلب ضمنيًّا الإيمـان بلغته التي أنزله بها لأنها في ذاتها جـزء من إعجازه حيث لا يكتمل ذلك الإعجـاز إلا بها ، وهي على ذلك داخلة ضـمن الـتزام المؤمـنين بالقرآن وذلك بتعلمها وتعليمها إلى حد الإتقان ومراعاة سـلامة قراءته بها دون لغة وسيطة ودون لحن . وعلى ذلك يمكن القول بأن تعليم اللغـة العربية السليمة وحمايتها من عبث اللهجات الدخيلة عليها، مما يدخل ضمن الفـروض الأساسـية الملقاة على عاتق المسـلمين المؤمنين بالقرآن وشمول دعوته وواجـب تعمـيم تلك الدعوة باعتبارها موجهة للناس كافة .

وهـو في حـده الأدنى فرض كفاية يـتعين عـلى الصـفوة من المسلمين أن ينهضـوا بـه وفي مقدمتهم مجامع اللغة العربـية وولاة أمور المسلمين في مختلف ديارهم وأمصارهم.

حضرات السادة الزملاء :

لقد كان لأحداث الطوفان وما لحقها مـن تدمير وإهلاك لقومي عاد وثمود وما لابس عهد نمروذ الذي امتد خمسمائة عام مـن طغيان وفتك ، الأثر الكبير فيما بدأ مـن انتشار في أطراف الأرض وتشتت عـزل شـراذم العرب بعضهم عن بعض وأدى إلى نشـوء متطلبات اقتضت نشوء لهجـات ومصطلحات وأسماء لما قد جد من مسميات خرج الكثير منها عن إطار اللغـة الأم وتباينـت فيه تلك اللهجات والمصطلحات والأسماء على نحو أدى إلى ما صار يبدو لغات مغايرة .

ولكن الله تدخلت إرادته وقدرته لحفظ اللغة الأم من خلال نبيه ورسوله إسماعيل بـن إبراهيم عليهما السلام الذي تم على

يديـــه التهذيب الأول الذي تمخض عما سمـــي (باللغة الخالصة) وهي اللغة التي نـــزل بهـــا القرآن الكريم على محمد عليه الصـــلاة والسلام ، وقد رأى (المؤمنون الأولـــون) على حد التعبير الذي أوردته دائـــرة معـــارف القرن العشرين في هذا الصدد) إن هذه اللغة الخالصة قد أوحي بهـــا إلى إسماعيل عليه السلام باعتباره أبا للعرب المستعربة التي اقتضت مشيئة الله أن يبعث من بينها محمدًا خاتم الأنبياء الذي تلقى القرآن وحيًا من ربه والذي هيأه الله للرسالة العظمى العامة الشاملة بأن جعل دمـــه الـــزكي ملتقى لأزكى الدماء التي التقت في جده إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصـــلاة والســـلام فلا يكون لفئة بعينها الانفـــراد بشرف انتمائه إليها وحدها . وهي حكمة بالغة جعلت عقلاء البشرية مـــنذ بعثـــته يضـــاعفون من إكبارهم واحترامهم له الأمر الذي بدا واضحًا في استقبال ملوك الأرض آنئذ لرسائله إليهم بكل ما ذكره التاريخ من تعظيم وتكريم).

وقد لعبت قريش دورًا واضحًا فيما تحقـــق من تهذيب (هو التهذيب الثالث عـــلى مـــا ذكـــرته دائرة معارف القرن العشـــرين) أدى إلى استمرار اللحمة بين (اللغـــة الخالصة التي سبق ذكرها) وبين لغـــة التخاطب التي تميزت بها قريش على سائر بطون العرب وفصائلها ، الأمر الذي هـــيأ العرب لاستقبال القرآن على النحو الـــذي جاء ميسرا وخاليا من كل تعقيد وتـــنافر وأدى إلى انطلاق فصحى قريش في ربوع الأرض تنشر الإشعاع الفكري عـــلى نحو أثار حفيظة من تصدوا لمحاربة الدولة الإسلامية ورسالتها الإنسانية فكان بـــدء الكيد للعربية باعتبارها قوة محركة لكـــل ذلك المد ، وتمخض الفكر المعادي عن حيلة دس اللهجات العامية وتشجيعها والـــتمكين لها على النحو الذي بدأ منذ العصـــر العباســـي يكسر طوق الفصحى ويحقق الانصراف المشئوم عنها في أوساط العـــرب إلى الحد الذي جعلها تختبئ في مـــدارك النخـــبة القلـــيلة من الدارسين والحـــانين علـــيها ، وما نزال نرسف في أغلال ذلك الكيد ، حتى انفصلنا أو نكاد عن ميراثنا وتراثنا العربي في جميع مقوماته المعـــروفة لـــدى كل من قرؤوا التاريخ

الصادق للعرب والمسلمين الأولين . لقد حرصت على أن أوجز ما وسعني الإيجاز، فلم انطلق بكل ما يقتضيه المقام من تحليل وتدليل تجنبًا للإملال ، ولكن يقيني من أن ما تعلمونه أكثر مما أعلمه هو ما حملني عـــلى أمـــر الإيجاز مكتفيًا بما أوردت في اســـتمالة مداركم المحيطة لإعطاء هذا الموضوع ما يستحقه من تحليل وتكميل . والله يوفقكم والسلام عليكم

علي رجب المدني

عضو المجمع من ليبيا